بشار العيسى*

سيكون من الحماقة أن تطلب من العاقل أن يحتفظ برصانته في الوقت الذي يعضه الأحمق في أذنه

نحبّ كرة القدم لكننا نحب الحرية أكثر:

وجهة نظر كردية صديقة للعرب في أحداث سورية الأخيرة

منذ أيام قتل في غزة صديق الكرد والشعب السوري الصحافي الفلسطيني خليل الزبن بالرصاص الفلسطيني، على مبعدة أمتار من الاسرائيلي الذي يقتل الفلسطينيين القاتل والمقتول ولا يفرق في ذلك بين من يدعي الانتماء الى الفئة الناجية أو ذلك الموسوم بأنه من الفئة الباغية.

وفي يوم الجمعة 2004/3/12 أقدمت السلطات السورية على تحويل مباراة كرة قدم الى جريمة قتل معلن بالاعتذار من ماركيز، وذلك حينما تقدم محافظ الحسكة الدكتور سليم كبول مشجعي فريق الفتوة الديري المدجج بشعارات ولافتات تحيي صدام حسين والمدن العراقية المقاومة للأمريكان وتتوعد الكرد والبيشمركة والبرزانيين بالويل والثبور وعظائم الأمور، كان يمكن للأمر أن يبقى في أطر الصراخ التي تميز هذه اللعبة الشيقة التي يعشقها منذ طفولته شيخ العرب السنّة الصحافي غسان الامام، وأن تحسم الأهداف في المرمى، انتصار فريق وهزيمة آخر يتحملها بروح رياضية، لكن ما بيتته الأكمة لم يكن الا المثل العربي الجميل: ليست رمانة ولكنها قلوب ملآنة، لأن الرصاصة الأولى انطلقت من مسدس الدكتور المحافظ، الى صدور من هو بالضرورة مسؤول عنهم من جمهور فريق الجهاد الكردي. لأنها الفتنة في صيغة جريمة مسبقة الصّنع كتلك التي نفذها سلفه مصطفى ميرو حينما كان محافظا للحسكة قبل أن يصبح رئيس وزراء آخر وزارة للأسد الأب وأول وزارة للأبن حينما أحرق سجن الحسكة على أكراد بالجملة ـ 57 موقوفا ـ

جميعنا يعلم أن أهل الدير والعشائر العربية التي تتقاسم طرفي الحدود العراقية السورية ولاءهم التاريخي كان للعراق ولنظام صدام حسين في أشد مراحل الصراع النظامين المبعثيين قبل وأثناء وبعد فترة الحرب العراقية الأيرانية ومن الطبيعي أن يتهيج أكثر هذا الولاء ويتشظى بسقوط العراق تحت سنابك الاحتلال الأمريكي البريطاني وبالطريقة المهينة لكل شعورعربي الآلية التي أخرجت بها اعتقال صدام حسين ممرغا بالتراب، الذي كان قد غدا فارس الهيجا في مخيلة العامة من العرب، في زمن الاحباط العربي المطلق وانبطاح حكامهم الكلي أمام أمريكا واسرائيل.

كما أنه لا يخفى على أحد أن الحدود التي أقيمت بنباهة شيطانية لم تنسي الكردي السوري نصفه الآخر في العراق أوتركيا وحتى أيران. كما جمهورية مهاباد كذلك غدا البرزاني الأول في المخيلة الكردية رمز الوحدة القومية والحلم الموؤود ولأن جميع شعوب المنطقة/ بمن فيهم قبائل الصحراء العائلية/ حصلت على كياناتها الوطنية البائسة بنير حكام الاستبداد، فلم يتبق للأكراد سوى علم جمهورية مهاباد واسم البرزاني وأعياد النوروز رمزالشعورالوطني لاحياء كردستان المتخيلة على جغرافية ليالي السراج المطفأ وهم جميعا يدركون استحالة رسمها موحدة لكنها الأحلام الحق طبيعي لخلق الله، لا يحق لأحد اغتصابها ومن الطبيعي أن تتنازع الكرد السوريين ولاء الانتماء الى الوطن السوري الذي ساهموا في بنائه والدفاع عنه كتفا لكتف منذ اليوم الأول للاحتلال الفرنسي الى الأمس القريب حينما تنطحوا لرسم نهاية الاستبداد/ رغما عنهم/ الذي يخيم على سورية منذ واحد وأربعين سنة وأكثر.

وكان من الطبيعي أن يبتهج الكرد لسقوط نظام صدام حسين وعلي الكيمياوي وطه يسين رمضان الجزراوي الكردي، بذاكرتهم المدماة بهزيمة انتصار التواطؤ الأيراني الشاهنشاهي والعراقي البعثي سنة 1975 والأنفال وحلبجة والهروب الكبير سنة 1992 من أمام آلة الدمار الكيمياوية لصدام حسين.

لا يحتاج المراقب الفطن الى الكثير من الحجج حتى يجزم بأن المستفيد الوحيد من هذه الفتنة المتقنة الاخراج هو النظام الحائر في دمشق الذي تتنازعه الصراعات بين أركانه ـ الأسد، طلاس والخدام ـ في تسابقهم على استجداء رضا الأمريكان والاسرائيليين والأتراك ليكون أحدهم لا شريكه حصان التغيير الذي تريده أمريكا في سورية، ولا يوحّد أركان الحكم في نظام دمشق سوى العمل على تأجيل الاستحقاقات الداخلية في التغيير الوطني الديمقراطي، والغاء الأحكام العرفية، واشاعة التعددية السياسية باعادة الحياة الى المجتمع المدني والقانون بالعمل بدستور يصيغ الحياة في دولة ينتفي فيها الاستثناء والتمييز والنهب والقمع والسجون الكريهة والأحكام العرفية وكف اليد عن لبنان لصالح توافق بنيه على مخرج لوطنهم.

لذا كانت المباراة الواقعة أياما بعد الذكرى ال41 لانقلاب 8 آذار سنة 1963 وما شهدته البلاد السورية من حراك عام من أجل تحويل الذكرى الى مناسبة وطنية تعيد للوطن حرياته الكثيرة المقيدة بفعل قانون الطوارىء والأحكام العرفية وتميّزالدور الذي قامت به النخب الكردية في رفد هذا الحراك، وهو ما أصبح واضحا للجميع أن النخبة السياسية الكردية غدت رافعة العمل الوطني الديمقراطي السوري ـ أحزابا وهيئات ولجان حقوقية ومدنية ـ من أجل التغيير والاصلاح وذلك لسبب بسيط أن الكتلة الجماهيرية الكردية مسيسة تاريخيا وواقعيا تحت ضغط شتى المظالم التي زنّرت حياة أجيال أرضعت الحرمان والمهانة صباح ومساء ما كان آخرها تقسيم أرضهم وقبائلهم وأسرهم بين حدود دول تعمل المستحيل لتلغي فيهم ذاكرتهم وانسانيتهم ما كان أولها رئيس أتت به الصدفة الى هرم السلطة زارهم من سنتين واعدا بحل مشاكلهم التي طالت حتى تطاولت، اذ بهم من أيام يطلعون على تصريح له للصحافة الأمريكية بأنه لا يعرف الأكراد.

أشكال وأهوال التمييز والقسر

ـ في 23 آب 1962 بموجب القانون رقم 93 أجري احصاء خاص بمحافظة الحسكة ظهرت نتائجه في عهد البعث الذي استرشد بوثيقة وضعها ضابط الأمن في المحافظة أيام الوحدة وفترة الانفصال محمد طلب هلال والذي أصبح بفضلها وزيرا للزراعة في حكومة يوسف زعين، نظّم آليات الاستيلاء على أراضي الكرد وتهجيرهم حسب المقترحات التي أوردتها وثيقة «نظرة قومية اجتماعية سياسية» اقترحت أن:

ـ تعمد الدولة الى عمليات تهجير الأكراد الى الداخل السوري.
ـ اتباع سياسة تجهيل تجاه الكرد أي عدم انشاء مدارس، أو معاهد.
ـ تجريد الكرد من جنسيتهم السورية لطردهم بتصحيح السجلات المدنية.
ـ سد باب العمل في وجوه الأكراد، لجعلهم في وضع غير قادر على التحرك.
ـ شن دعاية معادية ضد الأكراد في الأوساط العربية لتهيئتهم لحساب ما.
ـ نزع الصفة الدينية عن مشايخ الدين الأكراد.
ـ ضرب الأكراد بعضهم في بعض.
ـ اسكان عناصر عربية وقومية ـ خاصة من قبائل الشمر الفقراء ـ في المناطق الكردية على الحدود، ورقابة بنفس الوقت على الأكراد ريثما يتم تهجيرهم.
ـ جعل الشريط الشمالي للجزيرة الكردية منطقة عسكرية بحيث توضع قطعات عسكرية مهمتها اسكان العرب واجلاء الأكراد وفق ماترسم الخطة.
ـ انشاء مزارع جماعية للعرب الذين تسكنهم الدولة في الشريط الشمالي، على أن تكون هذه المزارع مدرّبة ومسلّحة عسكريا كالمستعمرات اليهودية على الحدود تماما.
ـ عدم السماح لمن لا يتكلم العربية بأن يمارس حق الانتخاب والترشيح في المناطق الكردية.

جرّد بموجب هذه الوثيقة البرنامج 184 ألف كردي من الجنسية السورية سنة 1966 حسب الردّ الذي تقدم به الوزير المفوض برتبة قنصل سوريا في واشنطن سعاد الأيوبي الى منظمة مراقبة حقوق الانسان قسم الشرق الأوسط في تموز 1996 .

الحزام العربي:

في العام 1973 بدأت حكومة حافظ الأسد بتنفيذ البند سيء الصيت، الحزام العربي على امتداد الحدود مع تركيا من عين ديوار على الدجلة الى كوباني/عين العرب في محافظة حلب بطول 350كم وعمق عشرة كيلومترات أجبر أهلوه الكرد على الهجرة الى المدن لتأمين معيشتهم. وأقيمت على أراضيهم المستولى عليها بفعل تجريدهم من الجنسية والملكية وحق الانتفاع ومن الأراضي المصادرة بقوانين الاصلاح الزراعي التعسفية وقرارات أملاك الدولة العرفية 33 مستوطنة اسكنت بالعرب الغمر استقدموا من منطقة الفرات بحجة أن أراضيهم غمرت بمياه سد الفرات، زوّدت بالقروض والآليات الزراعية على غرارالكولخوزات السوفياتية وسلّحت كالمستوطنات اليهودية لكنها ولحسن الحظ لم تنجر الى سياسة النظام في ترويع الجوارالكردي بالاعتداءات.

التعريب:

منذ أن حكم البعث أخضعت المناطق الكردية لسياسة تعريب شملت أسماء بلدات وقرى ومدارس واعداديات في مناطق الانتشار الكردي في محافظتي حلب والجزيرة:

في سنة 1978 عربت أسماء 136 قرية وبلدة
وفي سنة 1997 عربت أسماء 104 قرى 45 من ناحية الدرباسية و50 من سري كانية /رأس العين

وفي سنة 1998عربت في محافظة الجزيرة أسماء 120 قرية منها 36 في الدرباسية و23 ناحية تل حميس و 30في ناحية عامودا و13 في ناحية تربة سبية / قبور البيض/ قحطانية.

ومن محافظة حلب تم تعريب مركز عفرين 12 قرية وناحية شران 22 قرية وفي ناحية معبطلي 25 قرية وفي بلبل 28 قرية ومن ناحية جنديرس 16 قرية وفي راجو 36 قرية وفي منطقة كوباني / عين عرب تم تعريب أسماء 161 قرية سنة 1977 .

ـ كما تمّ تغيير اسماء مدارس واعداديات محافظة الحسكة من تابعية المركز 23 واحدة ومن تابعية عامودة 38 واحدة ومن الدرباسية 13 ومن القامشلي 13 ومن ديريك 3 وراس العين 2 .

ـ هذا فضلا عن أن المواليد الكردية يستلزم موافقة شعب الأمن السياسي على تسجيلها في سجلات قيد النفوس اذا أشكل الأمر على مأمور النفوس في حال عدم تأكده من عروبة اسم الوليد.

ـ يفاجأ المرء بالفارقة ما بين نسبة عدد الطلبة الأكراد في الاعداديات والثانويات ونسب الناجحين وخريجي المعاهد والجامعات والتي تتجاوز ال 60 بالمئة من المجموع العام في حين أن نسبة الموظفين منهم لا تصل الى 25 من الجهاز الوظيفي فضلا عن تدني هذه النسبة الى ما دون الـ5 بالمئة للذين يشغرون مواقع المسؤولية وتتجاوز نسبة البطالة بين الشباب الكرد الى نسب قياسية تبلغ أحيانا أكثر من 60 بالمئة والعمل في دوائر الدولة بالنسبة للكردي يستلزم بالضرورة موافقة الجهات الأمنية التي تشترط التعاون معها ، لذا فأن نسبة العاملين من محافظات دير الزور والساحل السوري والحوران، في دوائر المحافظة أعلى من نسبة أبناء المحافظة الكرد علما أن نسبة التعلم بين الأكراد هي الأعلى من سائر محافظات القطر رغم الفصل الدائم لنشطاء الطلبة الأكراد من معاهد ذات صفة محلية خاصة في أوقات الامتحانات بحجة مقتضيات المصلحة العامة.

طالما تنكر المسؤولون السوريون وقسم لا بأس بها من نخب المعارضة العرب السوريين ومن جميع المستويات لوجود مسألة كردية في سوريا والأنكى أن قسما كبيرا منهم ينكر على 2,5 مليون كردي وجودهم وفي أفضل الأحيان فهم اما يعتبرونهم ضيوفا مؤقتين في سوريا المضيافة وفي حالات أخرى يعتبرون متسللين هاربين من ظلم دول الجوار يستظلون بالواحة السورية للديمقراطية والتقدم الاقتصادي والأعمى يدرك أن وضع الأكراد ومعاناتهم من التمييز العرقي لهي أقسى وأمر من الكيمياوي العراقي ومن مقاصل الشاه وملالي أيران ومن عنف الجندرمة الأتاتوركية فالعراق من عهد فيصل الأول الى صدام لم ينكر يوما وجود الكرد كقومية ثانية الى جانب العربية وفي أيران لم يقدم عهد على شطب اقليم كردستان من خارطة أيران وفي تركيا تستظل الأحزاب والشرائح الثقافية والاجتماعية الكردية الى جانب الأتراك بالهامش الديمقراطي المتاح للأنشطة السلمية وفي أشد ظروف الصراع المسلح لحزب العمال الكردستاني كان الحزب يحتفظ بحق الفوز ب22 مقعدا في البرلمان التركي لجناحه السياسي وله عشرات المجلات والصحف ودور النشر باللغتين الكردية والتركية.

ولغير المطلع أوالمتجاهل للحقيقة الكردي في سوريا نثبت مايلي:

نقلا عن احصائيات Nante Fonds Beyrouth inventair 6 Carton 4000 الوثيقةالتالية:

تفصل اللوائح الانتخابية للادارة السورية لسنة 1935 لتوزع سكان الجزيرة السورية على الشكل التالي:

عربي مسلم	41900 حكوميون	22000 اقليميون 19900
أكراد مسلمون	81450 حكوميون	57690 اقليميون 23760
الشاشان المسلمون	1100	ـ اقليميون 1100
اليهودالاسرائيليون	900 حكوميون	870 اقليميون 30
اليزيديون الأكراد	2150 حكوميون	2150
المسيحيون	31030 حكوميون	70 اقليميون 30980

عليه يكون المجموع الكردي من سكان محافظة الحسكة لسنة 1935: 83600 نسمة
ويكون المجموع العربي من سكان المحافظة عينها لسنة 1935: 41900 نسمة
والمجموع المسيحي السرياني الآشوري الأرمني لسنة 1935: 31030 نسمة

نثبت هذه الاحصائيات للادارة السورية الفرنسية لنزيل اللّبس الذي تزرعه الآلة الدعائية للنظام السوري حينما يراد التحايل على الحقائق لتسويغ سياسات الاستبداد والتي تنطلي على بعض الأخوة العرب من الكتاب والصحفيين وحتى السياسيين المعاصرين فيجرون تقييماتهم وتحاليلهم على أن هناك ترصدا يراد منه النيل من صمود سورية ومن الوطن السوري الذي والى اليوم لم تثبت جماعة سورية واحدة أنها تتقدم الأكراد في التضحيات لا في المواجهة مع المحتل الفرنسي في عشرينات هذا القرن ولا في التطوع ضد الأحلاف الاستعمارية على امتداد الحدود التركية ولا على جبهة فلسطين ولا في الجولان. ودائما منذ مجيء البعث والى اليوم يتمزق الأكراد وأنا منهم حينما يسجل أمام أسمائنا في بطاقة الهوية، الجنسية: عربي سوري ويحرم عليه النطق بلغته مع أخيه في المدرسة ومع جاره بالوظيفة في حين أن أخواننا السريان والأرمن والآشوريين احتفظوا بحق التعلم بلغتهم في مدارسهم الخاصة لا بل أن قسما كبيرا من اجتماعات الفرق البعثية وشعب نقابة المعلمين والدوائر الرسمية كانت تدار بالسريانية، وأنا ممن تعلموا الأرمنية في مدرسة التقدم الأرمنية الخاصة بالدرباسية وكان أغلب تلاميذها من الأكراد لقلة عدد الأرمن في المدينة لأن المديرة ديكين لاتتكلم العربية وشكرو متعهد المدرسة ينطق فقط الكردية الى جانب الأرمنية، ولا زلت أستشعر على وجهي ذلك الكف من معلم مدرسة القرية استاذي القدير الحموي محمد دولاني عندما تحدثت الى أخي بالكردية التي كنت أجهل وجود غيرها في يومي المدرسي الأول.

أنشدنا، حماة الديار عليكم سلام، وقسما بالنازلات الماحقات وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر وبلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان، وفلسطين نادت فلبوا النداء، واحترق عشرات الأطفال الأكراد بنيران حريق سينما عزو ماغو في عامودة، لأن مدير الناحية الأخرق أصر أن يتبرع كل الأطفال الكرد لصالح الثورة الجزائرية برؤية فيلم جميلة بوحريد ليوسف شاهين في نفس اليوم ليتأكد من ولائهم للعروبة ضد البرزاني لأن محرك الكيروسين انفجر تحت ضغط التشغيل المتكرر، ولكن العربي حتى المتنور لا زال يأخذ على الكردي أن ينشد نشيده القومي، يا ناس لسنا هنودا حمرا ولسنا ديوك حبش أما حل لكم أن تتعلموا شيئا من التاريخ أو أن تحسوا بانسانية الانسان لماذا تستفزكم أغنية غرامية بالكردية أو أن يهتف الكردي بجي كردستان الوطن الحلم المزق على أطراف الحدود في حين أن الاثنين أنشدا معا المارسييز أما يتشفع صلاح الدين لنا لديكم مثل المارسييز؟

استضافت السلطة السورية لسنين أكراد العراق ضد نظام بعث العراق واستضافت لسنين مقاتلي حزب العمال الكردستان التركي لغاية في نفسها، وغادر الجزيرة آخر أرمني الى هايستان بعد سقوط حليفه السوفياتي وانتشر الأخوة السريان والآشوريون في مشارق الأرض ومغاربها بلغتهم وهويتهم وأحلامهم وبقيت الجزيرة السورية الكردية وطن حلمهم وتاريخهم وأسكن البدو الرّحل في أرض الكرد ومزارعهم كما استقرت قبائل عربية رحالة على تخوم المدن الكردية في البدء ومن ثم أصبحوا سادة هذه المدن حاكمين أهلها الأقدمين بقدس العروبة وعقيدة البعث التي لم يجد كردي واحد فيها لونه وظلت حساسية خاصة تتحكمهم تجاه هذا الكائن القائم على الصراخ والضجيج المفتعل الذي لا يتعرفه الكردي الا على شكل رجل الشرطة وعناصر الأمن بسحناتهم الغريبة العجيبة فظل الشك المتبادل سيد العلاقة بينه وحكامه لكنه لم يلجأ يوما الى العنف ولا الى الشغب والتخريب ولا الى حرق علم الوطن السوري ولم يخطر ببال الكردي السوري يوما أن عدوه جاره العربي في القامشلي أو الحسكة أو الدير أو دمشق وخلال الأربعين سنة من عملي في السياسة كنت ولازلت ومعي قومي نقف مع قضايا العرب جميعها وما أكثرها ونعتبرها عادلة ولم أسأل نفسي يوما ما اذاكانت هذه القضية عادلة أم لا، لأنني مؤمن بعدالتها حتى ولو كان خصمها كرديا ولكن وأقولها بمرارة نادرا ما لمست من رفاقي العرب السوريين بعض الجهد في التعرف على المظالم التي تجعل الكردي يصرخ من وجع أذنه المدماة.

فما الذي حدث يوم الجمعة 2004/3/12؟ حتى يخرج الأكراد عن طورهم يواجهون بالرصاص صدورهم العارية قبل أن يستفحل الشغب الكبير في تدمير رموز السلطة من تماثيل وصور ومبان حكومية نعم المباني الحكومية التي لم تبادلنا يوما المودة أو الاطمئنان.

اذا وضعنا جانبا تفاسير السلطة وأعوانها الذين لم ينطقوا يوما الا بنقيض الحقائق وتزويرها واستيلاد أعداء وهميين من خارج الحدود والريبة تسكنهم ممن داخل الحدود: لم تطلق من الحدود السورية رصاصة واحدة من أجل الجولان في حين يدفع لبنان يوميا ضريبة تحكم النظام السوري في درجة سخونة حدوده مع اسرائيل. تهمة التآمر مع الخارج تلصق بالجميع عربا وأكرادا من الرئيس ووزير دفاعه ونائب والده في حين ان النظام وحده يجري الصفقات العلنية مع أمريكا واسرائيل وقوات التحالف ضد العراق ومع السي أي ايه. بحجة مكافحة الارهاب، وآخرها الزيارة التي وصفت بالتاريخية لبشار الأسد لتركيا لتتوسط له مع اسرائيل مقابل التخلي عن لواء الاسكندرون ونأمل ألا تكون الحوادث الأخيرة قد بحثت مع بند التخلي عن حق المياه وازالة الألغام التركية من الحدود المتاخمة للانتشار الكردي على جانبي الحدود ضمن خطط تركيا في البحث عن البترول في المناطق المتداخلة مع الحدود والحقول النفطية على الجانب السوري.

في نهاية السبعينات وفي ذروة الاحتقان السياسي الاجتماعي في عهد الأسد الأب خرج علينا النظام يومذاك بمسرحية تآمر القوى الرجعية والامبريلية العرفاتية والصدامية للاخوان المسلمين وأشياعهم في المدن السورية الكبرى يومها أدار النظام بمهارة لعبة جر البعض الى مصيدة حادث مدرسة المدفعية وأعمال الاغتيال والتي كل الدلالات لا تبريء ساحته منها ليقفز الى ارتهان الطائفة العلوية لسياساته الأمنية والتي كانت ضحيتها الأولى الطائفة العلوية والمجتمع السوري لما طاول قمعه كل محظور ألغى به الحياة السياسية السورية لعقدين من الزمان. منذ ذلك التاريخ جرت مياه كثيرة في الأنهار التي جففتها السياسات المائية التركية وتترصد اسرائيل بالباقي ولكن الذهنية السورية الحاكمة لم تتغير والرئيس الجديد على أنقاض الجمهورية الشكلية بتداعيات المعاشرة يصبح يوما بعد يوم على صورة ومثال النظام الذي يكرر نفسه ويريد للتاريخ أن يتكرر، ومن حقنا أن نرى في الاخراج الدموي لمجزرة يوم الكرة هروبا للنظام الى الأمام من استحقاقات الاصلاح السياسي الداخلي ومن صرخات المطالبة بالغاء الأحكام العرفية وقانون الطوارىء والتجمعات الحقوقية والسياسية والعرائض المطلبية والاعتصامات الطلابية الى اختلاق حالة ذعر أمنية ووطنية يريد بها قرصنة التحرك الوطني الديمقراطي السياسي والحقوقي والنقابي بحجة المؤامرة الخارجية على العروبة والوطن لارتهان الهمّ العربي المذبوح في العراق وفلسطين والتحريض على فتنة وفئة وطنية قادرة أن تضخ بالمئات الآلاف من البشر وراء التحرك الديمقراطي ان لزم الأمر، واذا كان النظام قد نجح جزئيا في مسعاه الجرمي والديماغوجي نتيجة الضعف والوهن الذي تعاني منه القوى الوطنية الديمقراطية السورية، الا أنه وقع في غلطة الشاطر فالصرخة الكردية لو تمّ حصرها في الجزيرة لأصبحت من نوع أضرب الجبان ضربة أرعب بها الشجاع لكنها خرجت أبعد مما توقع الدماغ الأمني السوري البليد سياسيا، أن العاقل الكردي صرخ بأشد من حماقة النظام على ضعفه لكن اليوم الذي ستخرج فيه الصرخة من دمشق ومن حلب واللاذقية لن يكون بمستطاعه أن يخرج السجناء بالقوة ليصرخوا بالدم بالروح نفديك يا بشار الأسد ولا خدام ولا طلاس انها كرة الثلج الكردية تتدحرج من الشمال الى الجنوب ومهما تفتق ذهن المنافقين وأقلامهم فلن ينجر الكردي الى مصيدة أن يكون البديل عن الشعب السوري ولا أن يصبح خصم العربي وان كان رديفه الحاسم، وسيبقى العلم الوطني السوري دون علم البعث هو الذي سيرفرف على المدارس التي لا بد أن يأتي يوم يلزم الطلبة الأكراد فيها على تعلم لغتهم الأم/ الكردية بحكم القانون ويومها لن يكون أحد بمنجاة من الخضوع لمحاكم الجرائم بحق الانسانية.

* فنان تشكيلي من سورية يقيم في باريس

لماذا اغتالت إسرائيل أحمد ياسين وما هو الرد المناسب؟

د. إبراهيم أبراش*

■ لم أفاجأ أو استغرب قيام إسرائيل باغتيال الشيخ أحمد ياسين، لأن ثلاث سنوات من الانتفاضة الفلسطينية ومن الإرهاب الصهيوني بددت كل الخطوط الحمراء عند الطرفين، فالجماعات الإسلامية ونسبة كبيرة من الفلسطينيين انطلاقا من حقهم في المقاومة وردا على رفض إسرائيل كل مبادرات السلام، طالبت برأس شارون وبرؤوس كل رموز الصهيونية ولم تتنكر لأي عملية استشهادية في عمق المدن الإسرائيلية والتي كانت توقع العشرات من المدنيين وغير المدنيين، والحكومات الإسرائيلية وخصوصا حكومة شارون لم تعترف بأي خطوط حمراء منذ بداية الانتفاضة، فقتلت الطفل والشيخ والمرأة ودمرت وحرقت كل ما تناله آلة دمارها، واغتالت العديد من القادة الفلسطينيين منذ 1972وبعد عام اغتيال الشهداء الثلاثة ابو يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر في شارع فردان في بيروت وعلى يد باراك الذي أصبح رئيس وزراء، وتوالت الاغتيالات: أبو جهاد وأبو اياد وأبو الهول وأبو علي مصطفى وصلاح شحادة وإسماعيل أبو شنب الخ بل حاولت اغتيال الشيخ احمد ياسين نفسه في سبتمبر الماضي، وصنفت حركة حماس والجهاد وكتائب شهداء الأقصى كمنظمات إرهابية وطالبت برؤوس قادة المنظمات الإرهابية في نظرها. .إذن لا شيء يدعو للاستغراب لاغتيالها الشيخ ياسين، ومن كان يستغرب الأمر إنما كان واقعا تحت تأثير احد الوهمين: وهم أن شارون غير قادر على اغتياله أو وهم انه لا يريد اغتياله. الشيء الذي يدعو للتساؤل لا للاستغراب هو توقيت عملية الاغتيال .

نرى بان هناك أربعة اعتبارات حكمت توقيت العملية:

الأول: الظرف الإقليمي والدولي المواتي، فالأنظمة العربية في أسوأ وضع عرفته في تاريخها وكل نظام يخشى على نفسه ويقول اللهم نفسي بل بعضها متواطىء على الشعب الفلسطيني، والعالم منشغل بما يسمى بالحملة الأمريكية لمحاربة الإرهاب، وكل القوى الدولية اما متحالفة مع أمريكا أو تخشى شرها، والنظام الدولي يعيش حالة من الفوضى غير الخاضعة لقانون، وكانت لإسرائيل واضحة عندما قالت لقد بدأ موسم الصيد، فالنظام الدولي في نظرها أصبح غابة القوي يأكل فيها الضعيف.

الثاني: صمت الأنظمة العربية على إدراج حركة حماس وبقية الفصائل الفلسطينية على قائمة الإرهاب الأمريكية والإسرائيلية، فهذا الصمت بل اتخاذ بعض الأنظمة إجراءات مالية وسياسية ضد هذه الجماعات وقادتها فهمته إسرائيل وكأنه الضوء الأخضر لتصفية قادة هذه الجماعات.

ثالثا: ضعف الوضع الفلسطيني الداخلي وعدم بلورة إستراتيجية عمل وطني، يشجع إسرائيل على القيام بمثل هكذا عمليات، إما لتعزيز الانقسام الفلسطيني الداخلي أو توظيفا لهذا الانقسام .

رابعا: استغلالها لانشغال الفلسطينيين والعالم بمشروع شارون بالانسحاب من غزة، فشارون يعتقد أنه قدم تنازلا وهذا التنازل قد يدفع دول العالم لتفهم عملياته ضد الفلسطينيين، بل هو يروج أن هذه العمليات وخصوصا اغتال الشيخ ياسين تخدم السلام في المنطقة.

خامسا: يريد شارون أن يرد الاعتبار لشعبيته المتدهورة في إسرائيل إما لفضائحه المالية أو لاتهامه من اليمين بأن الانسحاب من غزة تفريط بأمن إسرائيل، فعملية اغتيال الشيخ ياسين رسالة مفادها أن إسرائيل إن تنازلت فإنما تتنازل من مركز القوة، وأنها ستواصل سياسة القوة حتى بعد الانسحاب من غزة.

سادسا: وضع سقف مسبق لأي قرارات تصدر عن القمة العربية التي ستنعقد بعد أيام، بتبليغ رسالة أن إسرائيل لن تحيد عن محاربة الجماعات الجهادية ولن تخضع لأي شروط عربية.

سابعا: جاءت العملية كرد على عملية أسدود، وتريد إسرائيل القول بأنها لن تسكت بعد اليوم عن أي عملية استشهادية داخل الخط الأخضر.

ثامنا: إلا أن هناك سببا أعمق من كل ما سبق وهو أن اسم الشيخ احمد ياسين أرتبط باسم حركة حماس، وحركة حماس شكلت ظاهرة فلسطينية وعربية وإسلامية، أزعجت إسرائيل والولايات المتحدة. فالشيخ احمد ياسين هو مؤسس هذه الحركة التي أحيت روح المقاومة عند الفلسطينيين والمسلمين عندما انطلقت عام 1987في بداية الانتفاضة الأولى في وقت كانت فيه حركة المقاومة الفلسطينية المتمثلة بمنظمة التحرير شبه مشلولة، وهي التي أحيت روح المقاومة خلال انتفاضة الأقصى الحالية، وهي دشنت نمط العمليات الاستشهادية التي أصبحت نموذجا جهاديا يحتذي به على مستوى العالمين العربي والإسلامي. فالشيخ ياسين يعد المؤسس الثاني للحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة، وحيث أن المؤسس الأول الرئيس أبو عمار محاصر أو تم اغتياله سياسيا، فكان مطلوب اغتيال الشيخ ياسين. لا شك ان التنديدات الخارجية وخصوصا من دول أوروبية بعملية الاغتيال ردت بعض الاعتبار لحركة حماس، فان تندد وتستنكر فرنسا والفاتيكان والأمم المتحدة وبريطانيا وألمانيا ومنظمة العفو الدولية وغيرها بعملية اغتيال الشيخ احمد ياسين، معناه أن هذه الأطراف الدولية تعيد النظر باعتبار حركة حماس منظمة إرهابية والشيخ ياسين كبير الإرهابيين كما تزعم إسرائيل، لأنه لا يعقل أن تندد دولة باغتيال إرهابي. وهذه رسالة إلى الدول العربية لتعيد الاعتبار لحركات المقاومة الفلسطينية وعلى رأسها الحركات الجهادية، مع أن كل حركات المقاومة الفلسطينية اليوم هي حركات جهادية.

ولكن...

بعد أن يأخذ الحزن مداه والغضب مداه، والحدث لا شك يستحق كل حزن وغضب، ما العمل؟ القضية ليست اغتيال شخص بالرغم من رمزيته كما أنها ليست قضية حماس لوحدها، والقضية ليست قضية ثأر وانتقام. القضية قضية أرض وشعب تحتاج إلى تفكير هادئ وعقلاني، قيام حماس أو تنظيم آخر بعملية استشهادية أو أكثر قد يشبع روح الانتقام وقد توجع إسرائيل ولكن ليس هذه وحده هو الحل، الحل هو ما طالبنا وطالب به كثيرون، وهو ضرورة تشكيل حكومة وحدة وطنية، حكومة تضع إستراتيجية عمل للرد على العدوان الإسرائيلي ولقيادة العمل الوطني في المرحلة المقبلة وخصوصا مع إمكانية تنفيذ شارون لمخططه بالانفصال من طرف واحد عن الفلسطينيين . لقد ثبت فشل السياسة السابقة التي تقوم على تفاهمات ضمنية بين السلطة والمعارضة مفادها ان يسكت كل طرف عن ممارسات الطرف الثاني، فلا الشارع الفلسطيني استوعب جيدا هذا النهج من السلوك السياسي ولا العالم الخارجي قابل به .المطلوب اليوم حكومة وحدة وطنية ببرنامج وطني تحمله إلى العالم وتخاطب به العالم .

* استاذ بجامعة الأزهر بغزة

رسالة مفتوحة إلى رئيس الحكومة الاسباني المرتقب خوسي ثاباطيرو

أحمد السطاتي*

■ لست رئيس دولة أو حزب أو نقابة حتى تكون تهنئتي بفوزكم البين وازنة أو مدوية، لاشك أنكم تتلقون من زملائكم وأندادكم في العالم تهاني، منها ما يعبر عن مشاعر التقدير والاعجاب، ومنها ما يقف عند حدود اللياقة والاداب، ولابد أن بعض النفوس فيها ما فيها من حسرة ودهشة، حينما رفعتم صوتكم عاليا ومجلجلا بكلمة لا، التي عز قولها في زمن العربدة والجبروت والصوت الواحد والوحيد.

أهنئكم، سيادة رئيس الحكومة كمواطن مغربي عادي يتأمل أحداث العالم بعين وطنية وعربية، مواطن يمزق قلبه وضميره ألم الظلم والطغيان والدم المراق، يوميا، في فلسطين والعراق، ودم الابرياء المسفوح في عاصمة بلدكم الصديق وفي كل مكان يستهدفه إرهاب عشوائي.

من المسؤول سيادة الوزير الاول عن دم الابرياء في العالم؟ هل هو الارهاب الاعمى؟ أم الاحتلال الاعمى؟ هل هي الكراهية العمياء أم الاطماع العمياء؟

ثمة، دون شك، خلط مقصود للمفاهيم وتلاعب ماكر بالكلمات والمصطلحات وقفتم عنده في أحد تصريحاتكم بقولكم، لا للارهاب، ولا للكيفية التي تدار بها الحرب ضد الارهاب، ونحن معكم نقول بكل ما أوتينا من قوة، لا للارهاب، ولا للاهداف البريئة التي يتقصدها الارهاب، ضميرنا يرفض الارهاب ويدينه ولا يقبل بأية حال تبريره، لكن ليس عصيا على ذكائنا تحليله وتفسيره. فالكراهية المتراكمة منشأها المظالم المتراكمة التي ظلت بدون حل أو تسوية، منها الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وغزو العراق ليس خاتمتها، بل دور من أدوارها الواعدة والمتوعدة.

شعبكم العظيم، سيادة رئيس الحكومة الذي هزه هزا غاضبا ظلم الاحتلال خرج بمئات الالاف في مظاهرات صاخبة، يندد ويستنكر العدوان على العراق المدجج بأفتك الأسلحة، ويستنكر معه موقف الحكومة المنصرفة الناشز والمتحيز، ويرفض ـ كما صرحتم بذلك ـ تورط جنودكم في مغامرة تقودها أطماع ومصالح تتستر وراء كذب مكشوف ومفضوح بامتلاك العراق أسلحة دمار وخراب، ولقد أكدتم أن الذين أشعلوا نيران هذه الحرب، عليهم أن يقوموا بنقد ذاتي شجاع للعظة والاعتبار وعدم التكرار.

سيدي الوزير الاول، حز في نفسي، ونفس شعبكم، ونفوس الشرفاء والاحرار في العالم أن تداس قوة الحق تحت أقدام حق القوة، وأن يهمش دور الامم المتحدة وتحرم منابرها من اعلاء كلمة الحق والوقوف في وجه الظلم والعدوان الذي قادته دولة من اقوى دول العالم، ولا أقول من أعظمها، لأن العظمة تقترن بشهامة الضمير وغنى الروح.

كان المفروض في دولة قوية بسلاحها وعتادها ومالها أن تكون مؤتمنة على أمن العالم وسيادة الشعوب وصيانة الحقوق، أن تكون دولة بحق، دولة عظيمة لا دولة قوية وحسب.

تصريحاتكم، سيدي رئيس الحكومة، أيقظت في نفوس العرب قاطبة وكل الشعوب المغلوبة على أمرها أن ثمة رجالا أفذاذا عز نظيرهم.. حتى في بعض أبناء جلدتي، لا يخافون في الحق لومة لائم، لقد مثلتم ضمير الشعب الاسباني الحي وشهامته وبرهنتم على أنكم الوريث الشرعي لأمجاد إسبانيا وبطولاتها.

سيدي الوزير الأول، إنني كواحد من المواطنين المغاربة، أاشعر، بعد فوزكم ب